

معنى قوله تعالى: أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ

..... ومن هذا القبيل قال نبي الله نوح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام لقومه: { أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ } هذه الهمزة تعلق بعدها أداة عطف كالواو والفاء وثم، الأكثرون من علماء العربية على أن الهمزة تعلق بجملة محذوفة، وأن الواو إنما فتحت، لأنها عاطفة على الجملة المحذوفة الذي دل عليه المقام. وهذا هو الوجه المختار من الوجهين، واعتمده ابن مالك في الخلاصة بقوله: وحذف متبوع بدا هنا استبح وتقدير المحذوف: أكفرتم وكذبتموني وعَجِبْتُمْ أيضا من أن جاءكم ذكر من ربكم؛ أي أكفرتم وعَجِبْتُمْ. إنكار لكفرهم، وإنكار لعجبهم المعطوف عليه؛ لأن كل هذا ليس محل استنكار، والعجب معروف وهو أن يستغرب الإنسان الشيء ويستبعده كأنه ليس من المألوف وجود نظيره. { أَوْ عَجِبْتُمْ } ؛ أي أكفرتم وعَجِبْتُمْ أي تعجبتم واستغربتم من { أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ } ؛ أي { جَاءَكُمْ ذِكْرٌ } ؛ أي موعظة. المراد بالذكر هنا موعظة الله التي أنزلها على نبيه نوح من توحيد الله الخالص وعبادته وحده جل وعلا، والوعظ الذي يلين القلوب، والزجر عن عبادة غير الله. فهذا الذكر الذي جاءهم. { ذِكْرٌ } ؛ أي وعظ نازل من الله، { عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ } على لسان رجل منكم بعثه الله فيكم نبيا، بعثه الله بهذا الوعظ لأجل أن يذركم. وقد قدمنا أن الإنذار أنه الإعلام المقترن بتهديد خاصة؛ فكل إعلام إنذار، وليس كل إنذار إعلاما، أي { لِيُنذِرَكُمْ } ؛ أي ليخبركم برسالات الله مبلغكم وأمره ونواهيه، مبينا لكم أنكم إن لم تتقوه وتطيعوا رسوله أنكم ستلقون العذاب الأليم والنكال الشديد. وكون الإخبار مقترنا بهذا التهديد والتخويف من عذاب الله ونكاله هو معنى الإنذار؛ أي { لِيُنذِرَكُمْ } ؛ لأجل أن يذركم يخوفكم عقاب الله، وشدة نكاله وبأسه إن تماديتم على كفركم. { وَلِتَتَّقُوا } علة أخرى؛ أي { جَاءَكُمْ ذِكْرٌ } من ربكم على لسان { رَجُلٍ مِنْكُمْ } ؛ لأجل أن تتقوا الله، وتجعلوا بينكم وبين سخطه وعذابه وقاية هي امتثال أمر الله واجتناب نهى الله، ولأجل أن ترحموا. "لعل" هنا الظاهر فيها أنها تعليلية، لأنها معطوفة على موضعين من لام كي، لأن قوله: { لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا } كلتاها لام كي فعطف لعل عليهما يدل على أنها للتعليل، وقد قال بعض علماء التفسير: كل "لعل" في القرآن ففيها معنى التعليل إلا التي في سورة الشعراء: { وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ } قالوا: هي بمعنى كأنكم { تَخْلُدُونَ } هكذا قالوا والله أعلم. ولاشك أن "لعل" تأتي في القرآن للتعليل، وكذلك تأتي في كلام العرب. ومن إتيانها في القرآن ظاهرة في التعليل واضحة فيه { وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } ؛ أي أنعم عليكم بنعمة الأبصار والأفئدة لأجل أن تشكروا نعمه فتؤمنوا به. ومن إتيان "لعل" في كلام العرب بمعنى التعليل قول الشاعر: فقلتم لنا كفوا الحروب لعلنا نكف ووثقتم لنا كل موثق فقلوه: "كفوا الحروب لعلنا". أي كفوا الحروب لأجل أن نكف. هذا معنى قوله: { وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } هذا الذكر الذي أنزله الله عليكم على لسان رجل منكم لا عجب فيه، وإنما أنزل الله هذا الذي تعجبتم منه لصلاحكم، أولا: لأجل أن تتقوا الله لإنذار هذا النبي الكريم الذي هو منكم. الثاني: { لِيُنذِرَكُمْ } يخوفكم عقاب الله، وتتقوا الله. ولأجل أن يرحمكم الله برحمته الواسعة إذا أقلعتم عن الكفر واتقيتم الله، لأن رحمة الله وسعت كل شيء، ولكن الله بين من يكتب لهم رحمته في قوله: { وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَدْعُوهُمْ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي النُّورِ وَالْإِنْجِيلِ } . هؤلاء هم الذين يكتب الله لهم رحمته، ولذا قال نبي الله نوح لقومه: لا تعجبوا فهذا ليس محل عجب، وهذا أمر لا يعجب منه؛ لأن الله أنزل عليكم ذكرا على لسان { رَجُلٍ مِنْكُمْ } ؛ ليخوفكم من الله، من عبادة غيره، ولأجل أن تتقوا ربكم بما يعلمكم ويبلغكم عن الله، ولأجل أن يرحمكم الله، إن أنتم فعلتم ذلك، هذا معنى قوله: { لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } .